الشعراء والسرقات او المآخذ الشعرية

(١)

فان توافق في معنىً بنو زمنٍ فان جلَّ المعاني غير متفقِ
قد يبعد الشيء عن شيءٍ يشابهه إن السماء نظيرُ الماء في الزرقِ
(المعري)

اختلفت مذاهب الناس في السرقات فعدَّ العربُ ذلك عيباً ولاسيما في جاهليتهم وعقدوا له في كتب الادب باباً خاصاً. وممن اشار اليه الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) واضع علم المعاني والبيان في كتابه (اسرار البلاغة). قال ابن رشيق في العمدة وهو اي الجرجاني اصح مذهباً واكثر تحققاً من كثير ممن نظر في هذا الشأن. وسبقهُ ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٤ م) فذكر السرقات في كتاب الصناعتين (اي الكتابة والشعر) وقال انهُ تفرَّد في التمثيل بين قول المبتدئ والتالي وتبيين فضل الاول على الآخر والآخر على الاول اذ كان العلماء قبلهُ ينبهون على مواضع السرقة فقط فزاد عليهم. ثم عقبهُ ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م) في كتابه (العمدة) في صناعة الشعر ونقده ثم الثعالبي في مطولهِ وابن الاثير في مثلهِ السائر وجلال الدين السيوطي في كتابه (عقد الجمان) الى غيرهم ممن زادوا على من تقدمهم واكثروا الامثلة تبسطاً في البحث

وزبدة ابحاثهم ان المتأخر لا غنىً لهُ عن تحدِّي المتقدم والوقوف على منظومهِ ومنثورهِ مطالعة يثبت افكارهُ والنسج على منوالهِ على حد قول الامام علي بن ابي طالب «لولا ان الكلام يُعاد لنفد» وقول الآخر «كل شيء ثبتهُ قصر الا الكلام فانك اذا ثبتهُ طال» على ان الحصري قال في زهر الآداب وثمر الالباب «ان حق من اخذ معنىً قد سبق اليهِ ان يصنعهُ اجود من صنعة السابق اليهِ او يزيد عليهِ حتى يستحقهُ واما اذا قصَّر عنهُ فهو مسيء معيب بالسرقة مذموم على التقصير». وقال الجرجاني في اسرار البلاغة «واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز وتركهُ كل معنى سبق اليهِ جهل ولكن المختار لهُ عندي وسط الحالات». وقال ابن رشيق في العمدة «وكانوا يقضون في السرقات ان الشاعرين اذا ركبا معنىً كان أولاهما بهِ اقدمهما موتاً واعلاهما سناً. فان جمعهما عصرٌ واحدٌ كان ملحقاً باولاهما بالاحسان.

وان كانا في مرتبة واحدة روي لهما جميعاً . وانما هذا في ما سوى المختص الذي حازهُ قائلهُ واقتطعهُ صاحبهُ . . . وأجل السرقات نظم النثر ونحو الشعر » . ولله در ابي تمام بقولهِ

ولو كان يفنى الشعرُ أفناهُ ما قرت حياشك منهُ في العصور الذواهبِ
ولكنهُ صوب العقول اذا انجلت سحائب منهُ أعقبت بسحائبِ

وشعراء الافرنج ينقل بعضهم عن بعض ولا يعدون سرقة الا ما تعمدهُ الشاعر وادعى ابتكارهُ وهو لغيرهِ

وقيل لابي العلاء المعري : كل معنى للمتنبي تجدهُ منقولاً عن غيرهِ . فقال هذه مآخذهُ من سواهُ لديكم فليصنع كلٌّ منكم مثل ديوانهِ ان كان ذلك في امكانهِ . وسئل ابو عمرو بن العلاء أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلقَ واحدٌ منهما صاحبهُ ولم يسمع شعرهُ قال : تلك عقول رجالٍ توافت على السنتها . وسئل ابو الطيب المتنبي عن مثل ذلك فقال : الشعر جادة وربما وقع الحافر على موضع الحافر . ولهذا كثُر وقوع الحافر على الحافر وتوارد الخاطر واتفاق الاقوال وتلاؤم الافكار . ومن اخصر ما حصرت بهِ انواع السرقات قول العسكري في كتاب (الصناعتين) : ان من اخذ معنى بلفظهِ كان لهُ سارقاً . ومن اخذهُ ببعض لفظهِ كان لهُ ساطحاً . ومن اخذهُ فكساهُ لفظاً من عندهِ اجود من لفظهِ كان هو اولى بهِ ممن تقدمهُ

ومن مذاهب العرب في الجاهلية تجنب السرقة ولعلهم لم يحتاجوا اليها لقلة اغراضهم وعدم اتساع كلامهم في الشيء الواحد . واول من ذم السرقة طرفة بن العبد البكري بقولهِ

ولا أُغيرُ على الاشعار اسرقها عنيتُ عنها وشرُّ الناس من سرقا

ثم الاعشى بقولهِ

فكيف انا وانتحالي القوافيَ بعد المشيب كفى ذاك عارا

ولم يمضِ على ذلك وقت طويل حتى قال كعب بن زهير

ما اراني نقول الا مُعاراً او مُعاداً من قولنا مكرورا

فانفتح باب الأخذ وتسابق الناس الى تناول معاني من تقدَّمهم . ولقد ذم العرب من تجرأ على ذلك ومن اظهر الامثلة ان بشار بن برد العقيلي احتج بسلم الخاسر وكان من تلامذتهِ ورواتهِ بعد ان كان قد غضب عليهِ . فقال بشار يا سلم من الذي يقول :

من راقب الناس مات غمًّا وفاز باللذة الجسورُ

فقال خريجك (يعني نفسهُ) . قال بشار : افتأخذ معانيَّ التي عنيتُ بها ونصبت في استنباطها

فتكسرها الفاظاً اخف من الفاظي حتى يروى ما نقول ويذهب شعري . لا ارضى عنك ابداً . فما زال يتضرع اليه ويشفع له القوم حتى رضي عنه

وهذه القصة اشبه بقصة هوميروس ناظم الالياذة لما سرق ڤيرجيليوس احد معلي الادب في قوفية اشعاره وذهب الى سافص واطلعها مدعياً انها له . فنظم هوميروس كثيراً من القصائد في ذمه منها مقطعة عربتها بقولي وقد نظمها وهو ذاهب الى سافص بسفينة

استجب نبئ القدير دعائي ونعيد فلكي بريح رخاء
ثم يسر رجوع صحبي بخير يا الهاً يسود فوق الماء
فصافي اسادف الطود ميا س وفي صخمه حمى الانقياء
ناقماً من خصم آثار عليه غضب المشتري اله السماء

وفي لغتنا كثير من هذه الشواهد منها قول ابن الرومي في البحتري

والفتى البحتري يسرق ما قال ابن أوس في المدح والتشبيب
كل بيت له يجود معنا ه فمعناه لابن أوس حبيب

ومن لطائف الهي تمام هذا قوله يهجو شاعراً سرق شعره من قصيدة

من عدت خيله على مسرح شعري وهو للحين رائع في كتابي
غارة انتهت عيون القوافي واستحلت محارم الآداب
لو ترى منطقي اسيراً لاصبحت اسيراً ذا عبرة واكتئاب
يا عذارى الكلام صرتن من بعدي مبايا تبعن في الأعراب
عيثت بالسمع تبدي وجوهاً كوجوه الكواعب الأتراب
قد جرى في متونهن من الافند ماء نظير ماء الشباب
ان ذمي محمد بن يزيد في الذي قاله لغير صواب
دعه يحظى عند الورى باختياري في قصيدي فذاك أيسر بابي
طالما رعيي يارب عما ألاقيه ورهبي اليك فاحفظ ثيابي

وقول الآخر

ما سارق الشعر فيه وسم صاحبه الا كسارق بيت دونه غلق
بل سارق البيت أخفى حين يسرقه والبيت يسرقه من ظلمة غسق
من جيد الشعر ان يخفى لسارقه وجيد الشعر قد صارت به الرمق

وقول الصاحب بن عبّاد من سرق شعرهُ

سرقت شعري وغيري يضام فيهِ ويخدعُ
فسوف اجزيك صفعاً بكل رأسٍ واخدعُ
فسارق المال يُقطع وسارق الشعر يُصفعُ

ومن اشتهر من شعراء العرب بالسرقة الرشيد الاسواني وكان اسود اللون فهجاهُ ابن قادوس العمري الدمياطي المتوفى سنة ١٠٥٩ م بقولهِ

يا شبه لقمان بلا حكمةٍ وخاسراً في العلم لا راسخا
سلخت اشعار الورى كلها فصرت تُدعى الاسود السالخا

وكان سعيد بن حميد الشاعر المترسل المتوفى سنة ٨٨٦ م جيّد السرقة للمعاني حتى قال فيهِ بعض الفضلاء : لو قيل لكلام سعيد وشعرهِ ارجع الى اهلك لما بقي معهُ منهُ شيء

وكان ابو العباس احمد بن سيد من مشاهير الاندلسيين يلقّب باللص لانهُ كان يسرق معاني الشعراء ويخرجها مخرجاً لطيفاً وهو من اهل القرن الثاني عشر للبلاد ومن شعرهِ قولهُ

سلبتَ قلبي بلحظٍ ايا الحسين خلوبِ
فلمَ اسمّى بلصٍّ وانت لصُّ القلوبِ

وكان عبد القادر بن طاهر التميمي قد سدا في اكثر منظومهِ سدو منصور الفقيه البصري كما ذكر الثعالبي في دمية اليتيمة

وممن ولع بالاخذ ونقل افكار الاعاجم ولاسيما حكماء اليونان ابو العتاهية وصالح بن عبد القدوس والمتنبي والمعرّي وابن الرومي وغيرهم . وولع شعراء آخرون بنظم المنثور منهم ابن الخطير ابو منيح ممّاتي المتوفى سنة ١٢١٠ م فانهُ نظم سيرة صلاح الدين الايوبي وكتاب كليلة ودمنة المشهور . وابن المبارية المتوفى سنة ١١١١ م نظم كليلة ودمنة ايضاً ولهُ (الصادح والباغم) . وابّان بن عبد الحميد اقدم من نظم كتاب كليلة ودمنة بشعر عربي توفي سنة ٨١٥ م . ومن المتأخرين من اشتغل بهذا مثل ابي الحسن عفيف بن محمد الخطيب الذي نظم الاحاديث المشورة بكتاب سماهُ (المنظوم والمنثور) وعبد الله الطرابلسي المتوفى سنة ١٧٤٠ م نظم كتاب (رنة الثاني في حكم الاقتباس القرآني) . وابي السعود المصري في نظمهِ تاريخ الجبرتي ورزق الله حسون الحلبي في (اشعر الشعر) والياس صالح اللاذقي في نظم المزامير . ونقولا الترك في نظم بعض المزامير ايضاً . واسعد الشدودي في نظم امثال سليمان الحكيم وغيرهم . وألف كثيرٌ في سرقات الشعراء ولاسيما سرقات المتنبي . وللصاحب

المشتي كتاب لم يتمهُ ذكرهُ المحبي في خلاصة الاثر قال ولو تم لجاء كتاباً عجيباً

واصطلح العرب ان ما ينظمهُ الشاعر من الكتب الدينية والاحاديث النبوية مطلقاً يسمونهُ اقتباساً . وما يأخذونهُ من كلام غيرهم ويشيرون اليهِ تضميناً . وما ينظمونهُ من المنثورات عقداً . وما يشيرون اليهِ من قصة او حادثة او مثل ونحوها تلميحاً . الى غير ذلك مما لا محل للافاضة فيهِ وسانتخب من كل من هذه الانواع ما فيهِ فائدة وتفكهة ان شاء الله

عيسى اسكندر المعلوف

المتاولة او الشيعة في جبل عامل

(تابع ما قبلهُ)

بدء خضوعهم

ولما استقل الجزار بعكاء بدأ باخضاع المتاولة فكانت لهُ معهم وقائع آخرها واقعة يارون حيث ساق عسكرهُ على بلاد بشارة فجأة في ٥ شوال سنة ١١٩٥ فاسرع اليهِ ناصيف بعسكرهِ والتقيا في قرية يارون من جبل عامل قرب صفد فكانت النصرة لعسكر الجزار وزلت بناصيف قدم فرسهِ فابتدرهُ احد الجنود يطلق اصاب منهُ مقتلاً وتفرق العسكر وتشتت شملهُ وجاس رجال الجزار خلال البلاد نهباً وسلباً وقتلاً فاستولى الرعب عليهم ثم هدمت القلاع وحوصرت قلعة شقيف ارنون شهرين وفتحت وهدمت وهرب مشايخ البلاد الى الشام والعراق ثم لجأ جماعة منهم الى عكاء فاستأمن الجزار بعضهم حتى اذا وثقوا بامانهِ عاد بهم الى ان ماتوا في سجنهِ وعذابهِ . ووزع عمالهُ على البلاد وكانت البقية الباقية من مشايخ البلاد تحفر بقوتها الضعيفة حتى اذا خرج حمزه بن محمد النصار على مسلم تينين وقتلهُ [illegible] بهِ الجزار سرية واقعتهُ في قرية شحور سنة ١١٩٨ فتشتت شملهُ وقبض عليهِ وقتلهُ

ولما دخل العسكر الفرنساوي تحت قيادة نابليون بونابرت بلاد الشام اعطاهُ المتاولة والصفديون الطاعة من انفسهم تخلصاً من عسف الجزار وظلمهِ الشديد ولما انجلى الفرنساويون واطمأن الجزار في ولايتهِ اشتد على بلاد بشارة وساحل صفد ولم يسمع بكبير او ذي وجاهة الا اخذهُ اخذ عزيز مقتدر واستصفى اموالهُ وتركهُ لرحمة زبانيتهِ في سجنهِ ودامت الحال